

## تبلور قصّة القيصر يوليانوس في الفكر الإسلامي التّارِيحي

عبد الرحمن طيارة

تلخيص:

يعني هذا البحث بدراسة تطور بداية الكتابة التّارِيحيّة عند المسلمين من خلال قراءة مسحة لقصّة القيصر الروماني يوليانوس (حكم بين السنوات 361-363) في المصادر والحواليات التّارِيحيّة الكلاسيكيّة، وتبع الدوافع لاهتمام المؤرخين المسلمين بهذه الرواية. وتعتمد هذه الدراسة على تحليل عرض المؤرخين المسلمين لقصّة يوليانوس من حيث المصادر (العربيّة، والفارسية، والسريانية، واليونانية) المستخدمة، والأساليب، والتقنيات السردية المتّبعة في دمجها في السرد التّارِيحي الإسلامي. ومن هنا فإنّ هذا البحث يلقي الضوء على خلفيات ودوافع المؤرخين المسلمين للاهتمام بقصّة يوليانوس والخطاب الاجتماعي الذي أثر على عرضهم التّارِيحي. بالإضافة إلى ذلك، يعكس هذا المقال المراحل الأولى للنقل المعرفي من المصادر اليونانية-الرومانية إلى الثقافة الإسلاميّة، وبهذا فهو يوفر زاوية جديدة لتحسين فهمنا لنشأة الكتابة التّارِيحيّة عند المسلمين بشكل عام، وعملية تفاعل المؤرخين المسلمين مع ثقافات غير-إسلامية بشكل خاص.

تعكس نشأة كتابة التّارِيحيّة عند المسلمين حاجات دينيّة واجتماعيّة، ونزاعات سياسية، شغلت بالعلماء والأدباء المسلمين منذ وفاة الرسول، ﷺ؛ فالخطوات الأولى في الكتابة التّارِيحيّة عند المسلمين، تمحورت في الأساس، حول تدوين الروايات الشّفويّة لسيرة الرسول، ﷺ، ومجازيه، وحفظ ترجمات الصحابة والتابعين الذين لعبوا دوراً هاماً في نقل السنّة النّبوّية وتعاليمها للأجيال اللاحقة. إلى جانب ذلك، كان الاهتمام بتدوين تاريخ القبائل العربيّة وأنسابها قبل الإسلام، قد لعب دوراً بارزاً في هذه المرحلة من تطوير الكتابة التّارِيحيّة. ومن هنا، فإنّ السيرة، والمغازي، والطبقات، وأنساب، شكّلت القوالب السردية الأولى للكتابة التّارِيحيّة عند المسلمين.<sup>(1)</sup> ومع اتساع رقعة الدولة الإسلاميّة، وظهور تحديّات اجتماعية وسياسيّة جديدة داخل المجتمع الإسلامي، بدأت تظهر أشكال جديدة

1- قاسم عبده قاسم، قراءة التّارِيحيّ: تطوير الفكر والمنهج (الجيزة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2009)، 111-131.

للكتابة التاريخية عكست هذه المستجدات؛ وكان لقاء الحضاري بين المسلمين والشعوب الأخرى، الأثر البالغ في تطور الكتابة التاريخية، بما كان له من أبعاد كبيرة في إغناء المجتمع الإسلامي في ميادين علمية وأدبية متنوعة، ويدرك في هذا المقام ما كان لقاء الحضاري بين العرب والفرس، من أثر كبير على تطور الثقافة الإسلامية، حين فتح آفاقاً علمية جديدة، أغنت الحضارة الإسلامية، وطورتها في مجالات علمية عديدة.

تسعى هذه الدراسة إلى تتبع العرض التاريخي لقصة القيصر الروماني يوليانوس (حكم بين السنوات 361-363م)، في المصادر والحواليات التاريخية الإسلامية الكلاسيكية وتحميسها، من حيث تحليل التقنيات السردية في هذه الروايات، والمصادر المستخدمة فيها. وبكلمات أخرى، يسعى هذا البحث لمناقشة الأسئلة التالية: لماذا اهتم المؤرخون المسلمين بقصة يوليانوس، وخاصةً بما يتعلق بارتداده عن النصرانية ورجوعه إلى الوثنية؟ وإلى أي مدى تختلف الأساليب التي اتبعها هؤلاء المؤرخون في عرضهم لهذه الرواية؟ وما الذي يعكسه هذا التباين عن تطور السرد التاريخي؟ وما هي المصادر والقنوات غير الإسلامية التي من خلالها استقى العلماء المسلمون معلوماتهم عن هذه القصة؟.

وللإجابة على هذه الأسئلة، سينجح الباحث نجاحاً تحليلياً مقارناً، يتناول فيه الروايات الإسلامية التي تعالج قصة يوليانوس، في محاولة للكشف عن خلفيات المؤرخين الثقافية ودواتهم في التعرض لهذه القصة. ولكن قبل الشروع في هذه الدراسة، يجدر بنا إلقاء نظرة سريعة على بدايات انعكاسات التاريخ الروماني-البيزنطي في المصادر الإسلامية.<sup>(2)</sup>

---

Chase Robinson, *Islamic Historiography* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003), 18-38; Fred Donner, *Narratives of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing* (Princeton: Darwin, 1998), 26-35;

عبد العزيز الدُّوري، *نشأة علم التاريخ عند العرب* (العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000)، 15-88.  
 2- يشمل تعبير "الروم" الذي يتردد في المصادر الإسلامية الإمبراطورية الرومانية الغربية، التي كان مقرّها روما (انهارت في سنة 476م)، وكذلك الإمبراطورية البيزنطية التي كان مقرّها القسطنطينية. وحّى أنَّ

كان للصراع السياسي والعسكري بين الإمبراطوريتين، الإسلامية والرومانية- البيزنطية- الذي بدأ منذ القرن السابع الميلادي الأثر البالغ في اهتمام المسلمين بالتاريخ الروماني- البيزنطي، فعلى الرغم من تمكّن المسلمين من إلحاق هزائم عسكريّة عديدة بالبيزنطيين، وضمّ مناطق شاسعة كانت تحت سيطرتهم، إلا أنَّ الدولة البيزنطية استمرّت في تشكيل تحدي عسكري دائم لهم، لذلك فإنَّ بداية اهتمام المسلمين بتاريخ الروم- البيزنطيين كان مردُّه في الدرجة الأولى، دوافع عسكريّة واستراتيجيّة، وهو ما يظهر جلياً في الكتب الجغرافية الإسلامية.<sup>(3)</sup> وفي هذه المرحلة الأولى جاء عرض تاريخ هذه الأمة في المصادر

البيزنطيين أطلقوا على أنفسهم اسم "الرُّوم"، وإنما لفظة "البيزنطيون" ظهرت لأول مرّة، بمفهومها الحديث، في القرن السابع عشر. لمزيد من المعلومات ينظر في الدراسات التالية:

N. El-Cheick, *Byzantium Viewed by the Arabs* (Harvard University Press, 2004), 21-71; C. E. Bosworth, "Rūm," *EI*, viii (1995), 602-606; R. Browning, *The Byzantine Empire* (Washington D. C.: Catholic University of American Press, 1992), XIII; A. Abel, "Un *Hadīt* sur la Prise de Rome dans la Tradition Eschatologique de l'Islam," *Arabica* (1958), 1-14, 8 no. 2.

3- لمزيد من المعلومات عن انعكاسات التاريخ اليوناني والروماني- البيزنطي في المصادر الإسلامية الأولى يمكن النظر في الدراسات التالية:

N. El-Cheikh, *Byzantium viewed by the Arabs*, 5-54; M. Fierro, "Al-Aṣfar," *Studia Islamica*, 77 (1993), 169-173; A. Shboul, *Al-Mas'ūdī & His World, A Muslim Humanist and his Interest in Non-Muslims*, 113-120; 245-262; T. Khalidi, *Islamic Historiography, The Histories of Mas'ūdī*, 94-98; A. Dietrich "Hellas und Rom in der islamischen Geschichtsschreibung," in *Festschrift für Hermann Heimpel zum 70. Geburtstag am 19. September 1971*, I (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1971), 81-101; L. Della Vida, "The 'Bronze Age' in Moslem Spain," *Journal of the American Oriental Society* [1943], 63, 183-191; *idem*, "La Traduzione Araba Della Storie di Orosio," *M. G. Galbiati* [Fontes ambrosiani, No. 27, Milano, 1952], III, 185-203); Ignazio Guidi, "La Discrizione Di Roma Nei Geografi Arabi," *Archivo Della Società Romana di Storia*, Partia 1 [1878], 173-218.

الإسلامية مختصراً، ويغلب عليه الطابع القصصيُّ غير الواقعي، والمجافي للدقة في بعض الأحيان. ومع مرور الرَّمَن تsei للمؤرخين المسلمين الحصول على مصادر جديدة عن التَّارِيخ الرُّوماني- البيزنطي، الأمر الذي جعل معرفتهم بهذا التَّارِيخ أوضَّح وأدقَّ نسبياً.

وتقتصر هذه الدراسة على تتبع العرض التَّارِيخي لفترة معينة من التَّارِيخ الرُّوماني- البيزنطي في المصادر الإسلامية المبكرة. هي فترة حكم القيصر يوليانيوس، التي تحدُّ على الرغم من قصَّرها، مكانة هامة في التَّارِيخ الرُّوماني- البيزنطي، تكشف عنها المصادر اليونانية، والرومانية، والسيريانية، التي واكبت تلك الفترة. ولعلَ السَّبب الرئيسيُّ في هذا الاهتمام الشَّديد بقصَّة يوليانيوس يعود إلى عاملين أساسين: أولاًهما، المحاولة التي قام بها لإحياء الديانة الوثنية على حساب النَّصرانية في القرن الرابع الميلادي، بيَدِه فشل في ذلك، بعد أن انتهى هذا الصراع الديني بانتصار النَّصرانية<sup>(4)</sup>. أمَّا ثانِيُّهما، فيعود إلى غزوه لبلاد الفرس وإلحاق الهزيمة بهم. ويبدو أنَّ هذه هي الخلفية التي تكمن وراء الاهتمام الكبير الذي حظيت به شخصيَّة القيصر يوليانيوس وفترة حكمه لدى الثقافات المختلفة، ومن بينها الحضارة الإسلامية التي تشَكِّل موضوع هذه الدراسة.

4- S. Tougher, *Julian the Apostate* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2007), 44-62; A. Murdock, *The Last Pagan: Julian the Apostate and the Death of the Ancient World* (Sutton Publishing, 2003), 1-8, 152-201; M. Giebel, *Kaiser Julian Apostata: Die Wiederkehr der alten Götter* (Düsseldorf and Zürich, 2002), 142-201 (especially 193-201); R. Smith, *Julian's Gods: Religion and Philosophy in the Thought and Action of Julian the Apostate* (London and New York, 1995), M. P. Athanassiadi-Fowden, *Julian and Hellenism: an Intellectual Biography* (Oxford, Oxford University Press, 1981), 161-232; 1-22, 179-218; G. W. Bowersock, *Julian the Apostate* (Cambridge: Cambridge University Press, 1978), 79-119; R. Browning, *The Emperor Julian* (Berkeley and Los Angeles, 1976), 145-218.

عند تتبعنا لبداية ظهور رواية يوليانيوس في المصادر الإسلامية نجدها تذكّر في الكتابات التأريخية العالمية الإسلامية التي بدأت تتبادر على ما يbedo في القرن التاسع الميلادي.<sup>(5)</sup> والتي تشكّل امتداداً ملحوظاً للروايات الإسلامية الشفوية، أو المدونة التي سبقتها. ولذلك فإن تمحيص العرض التأريخي لقصة يوليانيوس في الروايات الإسلامية يكشف لنا عن رؤية جديدة لفهم نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين. فعند قراءة العرض التأريخي لقصة يوليانيوس في المصادر الإسلامية، تبرز لدينا ستة محاور ملحوظة:

- 1) العلاقة بين سابور الثاني (ذو الأكتاف) والعرب.
- 2) ارتداد يوليانيوس عن النصرانية وإحياءه للوثنية.
- 3) غزو يوليانيوس لبلاد فارس.
- 4) مشاركة القبائل العربية في حرب يوليانيوس ضد الفرس.
- 5) نهاية يوليانيوس وتولي يوبيانوس الحكم من بعده.
- 6) طبيعة ديانة يوليانيوس الوثنية.

من خلال تنظيم هذه المباحث على هذا النحو، يتسلّي لنا تحليل التقنيات السردية التي تبنّاها المؤرّخون المسلمين في تقديمهم لقصة يوليانيوس، كما يمكننا تتبع المصادر التي اعتمد عليها هؤلاء المؤرّخون. لتسهيل عملية تمحيص هذه الروايات، من حيث تدرّجها التأريخي والمصادر المستخدمة فيها، والوقوف على التباين بين الأساليب التي اتبّعها المؤرّخون المسلمين، فقد صنّفنا هذه الروايات إلى ثلاث مجموعات رئيسية، تشتّرط

5- التاريخ العالمي هو ضرب أدبي يهتم بسرد الأحداث التاريخية من بداية الخليقة حتّى الفترة المعاصرة للمؤرّخ. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن النّظر في الدراسات التالية:

M. Sprinberg-Hinsen, *Die Zeit vor dem Islam in arabischen Universalgeschichten des 9. Bis 12 Jahrhunderts* (Würzburg: Telos Verlag, Altenberge, 1989), 9-16, 19-67; B. Radtke, *Weltgeschichte und Geschichteschreibung im Mittelalterlichen Islam* (Beirut, Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 1992), 1-7; C. Robinson, *Islamic Historiography*, 74-79.

روايات كلّ مجموعة في الأحداث، والتسلسل الزمني، وأسلوب العرض التّاريخي، والمصادر المستخدمة، لتشكّل كلّ مجموعة وحدة سردية منفصلة وهيكلًا إخباريًّا يعكس مرحلة معينة من تطوّر السّرد التّاريخي لقصّة يوليانيوس. ومن هنا، سنعرض هذه المجموعات في أطر ثلاثة:

1) إطار الروايات العربية (الجاهلية)-الفارسية.

2) إطار الروايات الفارسية-السّريانية.

3) إطار الروايات السّريانية-اليونانية.

في هذا التنّظيم تتشكّل لدينا زاوية جديدة لفهم تبلور بدايات الفكر التّاريخي عند المسلمين، وخاصةً بما يتعلّق باهتمامهم بتاريخ الأمم الأخرى بشكل عام، والتّاريخ الروماني-البيزنطي بشكل خاص؛ وسنعمد الآن إلى تحليل الروايات الإسلامية التي تدرج تحت الإطار الأول.

### إطار الروايات العربية (الجاهلية) - الفارسية

تتميّز الروايات التي يمكن تصنيفها تحت هذا الإطار، بالتركيز على الظروف التي أدّت إلى وصول سابور الثاني (حكم بين السّنوات 379-309م) إلى سدّة حكم الدّولة الفارسية السّاسانية ومعاملته القاسية للقبائل العربية نتيجة لدخولها أراضيه. ونجد هذا العرض التّاريخي في كتابات أبي محمد - عبدالله بن مسلم ابن قتيبة البّينوري (ت. 889م)، وأبي حنيفة - أحمد بن داود البّينوري (ت. 895م)، وأبي العباس - أحمد بن واضح اليعقوبي (ت. 898م)، وأبي جعفر - محمد بن جرير الطّبرى (ت. 923م)، وأبي الحسن - علي بن الحسين المسعودي (ت. 956م)، وأبي عبد الله - حمزة بن الحسن الأصفهانى (ت. حوالي 970م)، ومطهّر بن طاهر المقدسي (ت. بعد 970م). وعلى الرّغم من عدم ذكر يوليانيوس في الروايات، التي تدرج تحت هذا الإطار، إلا أنّها تعتبر بمثابة نقطة الانطلاق السّردي لقصّة يوليانيوس، كما سنرى لاحقًا.

يتضح لنا من خلال قراءة هذه الروايات أنَّ سابور تولَّ الحكم على الفرس وهو ما زال صبياً، فأخذ زعماء الفرس يستخفُون بكتابته كملك، ويستهزئون به. وفي الوقت ذاته، استضعفته الشعوب المجاورة، كالترك والروم والعرب، وطمعت في خيرات بلاده. ولكن عندما بلغ سابور سنَّ الرُّشد أصبح طاغية، وصار يحكم البلاد بيد من حديد، وانتقم شرًّا انتقام من أشراف الفرس، الذين حاولوا إسقاط حكمه. وما إن استتبَ الحكم لسابور، حتى أعدَ العدة للانتمام من أعدائه الخارجيين. وكان جلُّ همَّه معاقبة القبائل العربية التي دخلت أراضيه. فقام بمحاجمة هذه القبائل وأعمل فيهم القتل وطَّمَ آبارهم؛ ولم يقتصر انتقام سابور على هذه القبائل، بل قطع البحر وهاجم القبائل العربية الأخرى في البحرين واليمامة وبلاط عبد القيس وبكر وتغلب. وتذكر هذه المصادر أنه من شَّدة سخطه على العرب كان يقطع أكتاف المحاربين العرب إمعاناً في معاقبتهم والتَّمثيل بهم. ولذلك أطلق عليه المؤرِّخون المسلمين اللَّقب البغيض "سابور ذو الأكتاف"<sup>(6)</sup>.

على الرَّغم من التَّشابه الكبير بين هذه الروايات في تقديم قصة سابور، إلَّا أنَّ هناك بعض التَّباين بينها في العرض التَّارِيحي من حيث البنية السَّردية، ومدى التَّأثر بالمصادر

6- أبو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، كتاب المعرف، تحقيق ثروت عكاشه (القاهرة: دار المعرف بمصر، 1960)، 565 ; أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، كتاب الأخبار الطَّوَال، تحقيق عامر عبد المنعم (بغداد: مطبعة المثنى، 1960)، 49 ; أبو العباس أحمد بن واضح اليعقوبي، تاريخ (بيروت: دار صادر، 1960)، الجزء الأول، 161-162 ; أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعرف بمصر، 1960)، الجزء الثاني، 55-57 ; أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج اللَّهُب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بيلا (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانيَّة، 1965)، الجزء الأول، 295-296 (الفقرات، 601-602) ; أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهانى، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، تحقيق مارك غوتفلد (لابيتسن: بريل، 1844)، 51-52 ; ومطرَّب بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتَّاريخ (بيروت: مكتبة خيَاط، بدون تاريخ)، الجزء الثالث، 16 ; أبو علي -أحمد بن يعقوب مسكونية، تجارت الأدمم، تحقيق ابو القاسم إمامي (طهران: دار سروش، 1987)، الجزء الأول، 72-73 ; أبو منصور عبدالله بن إسماعيل الشعالي، غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، تحقيق هرمن زوتينج (امستردام: مطبعة أبا أورينتال، 1979)، 513-520.

الفارسية، والجوانب التي أراد المؤرخون إبرازها في سردهم للقصة. ولتعزيز فهمنا للمنهج التاريخي لهؤلاء المؤرخين وإلقاء الضوء على خلفياتهم واهتماماتهم في هذه المرحلة من التقديم لقصة يوليانيوس، ارتئينا تصنيف الروايات المندرجة تحت الإطار الأول إلى ثلاث فئات ثانوية. وبناءً على ذلك، يمكن تصنيف روايات ابن قتيبة، اليعقوبي، الطبرى، والمقدسى تحت الفئة الأولى، ويشكّل وصف الدينورى، لاستثنائيه، كما سنرى لاحقًا، فئة منفصلة. أما روايتنا المسعودى والأصفهانى فيمكن إدراجهما في نطاق الفئة الثالثة.

عند مقارنة العرض التاريخي لقصة سابور في روايات ابن قتيبة، اليعقوبي، الطبرى والمقدسى نجد، على الرغم من التشابه الكبير بينها، بعض الاختلافات الطفيفة. فاليعقوبى يوفّر لنا وصفاً مختصراً لا يذكر فيه مثلاً، السبب لكراهية سابور للعرب ومعاداته لهم، حتى أنه لا يذكر أسماء القبائل العربية التي كان لها ضلع في هذا الصراع. ولعل السبب في هذا العرض العابر يعود إلى ميل اليعقوبى إلى سرد تاريخ ملوك الفرس بشكل مختصراً، وتحفظه من بعض المصادر الفارسية لأنّها تحمل في رأيه طابعاً خرافياً.<sup>(7)</sup> أما روايات ابن قتيبة، الطبرى والمقدسى فتتّصف بأنّها مسماة نسبياً وتبرز فيها وجهة نظر أهل الحديث الدينية.<sup>(8)</sup> أمّا رواية الطبرى، فهي أكثرها تمثيلاً لهذا التوجّه في الكتابة التاريخية. إذ نجد

7- اليعقوبى، تاريخ، الجزء الأول، 158.

8- عن الخلفيات الثقافية المختلفة، التي أثرت على بداية الفكر التاريخي الإسلامي والدور الذي لعبه رجال الدين والأدباء في ذلك، ينظر في الدراسات التالية:

T. Khalidi, *Arabic Historical Thought in the Classical Period* (Cambridge: Cambridge University Press, 1994), 83-104; M. Carter, "The Kātib in Fact and Fiction," *Abr Nahrain*, X, (1971), 42-55; S. D. Goitein, *Studies in Islamic History and Institutions* (Leiden: Brill, 1966), 169, 186-87; G. von Grunebaum, *Medieval Islam, A Study in Cultural Orientation* (Chicago: Chicago University Press, 1953), 250-257; Ch. Pellat, *Le Milieu Basrien et la Formation de Ġahiz* (Paris: Librairie d'Amérique et d'Orient, 1953), 65-66.

الكاتب يعتمد فكرة الفساد بمفهومها القرآني<sup>(9)</sup> محوراً سرديًّا أساسياً تدور حوله أحداث القصة. فمثلاً، يستخدم الطّبرى عبارة "وأكثروا فيها الفساد"<sup>(10)</sup> لوصف تصرف القبائل العربية الجائرة حين دخلت أراضي الفرس، وسابور عندئذٍ، كان ملكاً صغيراً، مما أثار غضب الله عليهم. ولتحقيق العدل الإلهي بمعاقبة هذه القبائل، سلط الله سابور عليهم. أما رواية الـبـيـنـوـرـي فقد أوردناها في مجموعة منفردة، لأنـها تمـثـلـ في بنـيـتها السـرـدـيـةـ، ومصادرها، والمعلومات التي توفرها لنا، نقطة تحول في العرض التـارـيـخـيـ لـقصـةـ يـوليـانـوـسـ. وأبرز الاختلافات بين الـبـيـنـوـرـيـ والمـؤـرـخـينـ الآخـرـينـ يـظـهـرـ بـوضـوحـ عـنـ تـبـعـنـاـ لـطـرـيـقـةـ وـصـفـهـ لـالـعـلـاقـةـ الـعـدـوـانـيـةـ بـيـنـ سـابـورـ وـالـعـرـبـ. فالـبـيـنـوـرـيـ يـضـعـ هـذـهـ الرـوـاـيـةـ فـيـ قـالـبـ سـرـدـيـ جـدـيدـ، حـيـثـ يـرـبـطـ المـواـجـهـةـ بـيـنـ الـعـرـبـ وـسـابـورـ بـالـصـرـاعـ الدـائـرـ بـيـنـ الـفـرـسـ وـالـبـيـزـنـطـيـنـ. فـيـروـيـ لـنـاـ أـنـهـ عـنـدـمـاـ تـوـلـىـ سـابـورـ حـكـمـ الـفـرـسـ صـلـبـاـ، اـسـتـغـلـ بـعـضـ الـغـسـاسـنـةـ<sup>(11)</sup> ذـلـكـ الـوـضـعـ وـدـخـلـواـ مـنـطـقـةـ السـوـادـ، الـتـيـ كـانـتـ تـعـتـبـرـ مـنـ أـخـصـبـ الـأـرـاضـيـ الزـرـاعـيـةـ عـنـ الـفـرـسـ، وـاـسـتـوـطـنـواـ فـيـهـاـ. وـعـنـدـمـاـ أـصـبـحـ سـابـورـ شـابـاـ قـامـ بـمـهـاجـمـةـ الـغـسـاسـنـةـ وـأـعـمـلـ فـهـمـ السـيفـ، وـحـتـىـ أـنـهـ قـتـلـ زـعـيمـهـ، الـضـيـنـ. وـيـضـيـفـ الـبـيـنـوـرـيـ أـنـهـ بـسـبـبـ بـطـشـ سـابـورـ بـالـغـسـاسـنـةـ وـقـطـعـهـ أـكـتـافـ الـمـحـارـبـينـ سـيـيـ بـ "ـسـابـورـ ذـيـ الـأـكـتـافـ". وـيـروـيـ الـبـيـنـوـرـيـ أـنـ اـنـتـقـامـ سـابـورـ مـنـ

9- المفهوم القرآني للفساد يصور السلوك الفاسق لبعض الشعوب أو الحكام؛ وهذا يستدعي العقاب الإلهي بشكل مباشر، أو عن طريق تسليط قوى ظالمة عليهم. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يننظر في: سورة البقرة: 205؛ سورة المائدة: 32-33؛ سورة الفجر: 12 . وأيضاً الطّبرى، جامع البيان عن تأويل آمّي القرآن (القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلى، 1954)، الجزء السادس، 205-219؛ الجزء الثالثون، 182-180

10- الطّبرى، تاريخ الرّسّل، الجزء الثاني، 55.

11- الغساسنة قبائل عربية سكنت في نطاق الدولة البيزنطية، وكانوا حلفاء وعملاً عند البيزنطيين. وقد لعب الغساسنة دوراً هاماً في الصراع بين الفرس والبيزنطيين، خاصةً خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين.

الغساسنة وقتله زعيمهم أديا إلى تدخل حلفائهم البيزنطيين لحمايتهم.<sup>(12)</sup> ومن هنا يحاول الــيــنــوــرــي التــأــكــيد على أنــهــ هــذــاــ الــصــرــاع لمــ يــكــنــ مــوــاجــهــةــ بــيــنــ الــعــرــبــ وــالــفــرــســ، كــمــ يــذــكــرــ المؤــرــخــونــ الآخــرــونــ، بلــ كــانــ جــانــبــاــ منــ الــمــوــاجــهــةــ الــعــســكــرــيــةــ الــدــائــرــةــ بــيــنــ فــارــســ وــالــرــوــمــ الــبــيــنــطــيــيــنــ. وهــنــاــ اختـــلــافــ أــســاســيــ آخرــ بــيــنــ روــاــيــةــ الــدــيــنــوــرــيــ وــالــعــرــضــ التــارــيــخــيــ لــقــصــةــ يــولــيــاــنــوــســ فــيــ الــرــوــاــيــاتــ إــلــاســلــامــيــةــ المــذــكــورــةــ آــنــفــاــ، هــوــ أــنــ اــســمــ يــولــيــاــنــوــســ يــظــهــرــ لــأــوــلــ مــرــةــ، حــيــثــ يــصــفــهــ الــدــيــنــوــرــيــ كــقــائــدــ لــلــحــمــلــةــ الــعــســكــرــيــةــ الــرــوــمــانــيــةــ-ــالــبــيــنــطــيــيــةــ ضــدــ الــفــرــســ. وــتــجــدــرــ الإــشــارــةــ هــنــاــ، إــلــىــ أــنــ قــصــةــ ســابــورــ وــالــضــيــنــ تــرــدــ فــيــ تــارــيــخــ الطــبــرــيــ، بــيــدــ أــنــهــ يــتــســبــ زــمــنــ حــدــوــثــهــ إــلــىــ عــهــدــ ســابــورــ الــأــوــلــ (ــحــكــمــ بــيــنــ الســنــوــاتــ 242-271ــ)ــ وــلــيــســ ضــمــنــ قــصــةــ ســابــورــ الــثــانــيــ (ــحــكــمــ بــيــنــ الســنــوــاتــ 309-379ــمــ)، كــمــ فــعــلــ الــدــيــنــوــرــيــ. وــمــمــاــ يــثــيــرــ الــاــهــتــمــامــ أــيــضــاــ أــنــهــ لــيــســ هــنــاــكــ عــلــاقــةــ بــيــنــ الضــيــنــ وــالــغــســاســنــةــ فــيــ روــاــيــةــ الطــبــرــيــ.<sup>(13)</sup> وــمــنــ الــأــســئــلــةــ الــتــيــ تــرــحــ نــفــســهــ هــنــاــ، لــمــاــذــاــ جــاءــتــ روــاــيــةــ الــدــيــنــوــرــيــ مــخــتــلــفــةــ عــنــ بــقــيــةــ الــرــوــاــيــاتــ الــأــخــرــيــ لــقــصــةــ ســابــورــ وــالــعــرــبــ؟ــ وــإــلــىــ أــيــ مــدــىــ يــكــشــفــ لــنــاــ هــذــاــ الــعــرــضــ التــارــيــخــيــ الــمــيــزــ خــلــفــيــةــ الــدــيــنــوــرــيــ فــيــ تــأــلــيــفــهــ الــأــخــبــارــ الــطــوــالــ؟ــ

لــعــالــجــةــ هــذــيــنــ الســؤــالــيــنــ، عــلــيــاــ أــوــلــاــ تــتــبــعــ طــبــيــعــةــ الــمــصــادــرــ الــمــســتــخــدــمــةــ فــيــ روــاــيــةــ الــدــيــنــوــرــيــ.

يــعــتــبــرــ الــدــيــنــوــرــيــ، الــفــارــســيــ الــأــصــلــ، مــنــ أــوــاــلــ الــمــؤــرــخــينــ الــمــســلــمــيــنــ الــذــيــنــ اــهــتــمــوــاــ بــتــارــيــخــ الــفــرــســ وــدــمــجــوــاــ الــمــصــادــرــ الــفــارــســيــةــ فــيــ ســرــدــهــمــ التــارــيــخــ.<sup>(14)</sup> وــقــدــ ســاــهــمــ الــدــيــنــوــرــيــ كــثــيــرــاــ فــيــ حــفــظــ مــصــادــرــ فــارــســيــةــ أــوــلــيــةــ فــيــ الــأــخــبــارــ، لــوــلــاهــ لــمــحــاــهــ الــرــمــنــ.<sup>(15)</sup> وــبــمــاــ أــنــ مــصــادــرــ قــصــةــ ســابــورــ

12- الــدــيــنــوــرــيــ، الــأــخــبــارــ، 48-49.

13- الطــبــرــيــ، تــارــيــخــ، الــجــزــءــ الــثــانــيــ، 46-50.

14- القــفــطــيــ، إــنــيــاهــ الرــوــاــةــ عــلــ أــنــيــاهــ النــحــاءــ، تــحــقــيقــ مــحــمــدــ أــبــوــ الــفــضــلــ إــبــرــاهــيــمــ (ــالــقــاهــرــةــ: مــطــبــعــةــ دــارــ الــكــتــبــ وــالــوــثــاقــ الــقــوــمــيــةــ، 2005ــ)، الــجــزــءــ الــأــوــلــ، 41-44ــ؛ــ الــأــنــيــارــيــ، نــزــهــةــ الــأــلــبــاءــ فــيــ طــبــقــاتــ الــأــدــبــاءــ، تــحــقــيقــ مــحــمــدــ أــبــوــ الــفــضــلــ إــبــرــاهــيــمــ (ــالــقــاهــرــةــ: دــارــ هــنــهــضــةــ مــصــرــ لــلــطــبــاعــةــ وــالــنــشــرــ، 1967ــ)، 240ــ.

15- يــذــكــرــ لــنــاــ نــوــلــدــكــهــ، مــثــلــاــ، أــنــ الــدــيــنــوــرــيــ كــانــ أــوــلــ مــنــ اــعــتــمــدــ عــلــ الــرــوــاــيــةــ الــفــارــســيــةــ الــأــصــلــيــةــ لــقــصــةــ بــهــرــامــ *Geschichte des Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden* (Leiden: Brill, 1979), 474-478.

هي في الأساس فارسية، لا بد لنا هنا، من بيان مدى تأثير المصادر الفارسية على العرض التأريخي عند الديينوري، عن طريق مقارنة روايته بملحمة الفردوسي (ت. 1029)- الشاهنامة. هذا العمل الأدبي، الذي يروي التاريخ الفارسي الملكي منذ الخليقة وحتى مجيء الإسلام، يهدف في الأساس إلى إبراز الإنجازات الحضارية للفرس وإظهار تفوقهم على العرب.<sup>(16)</sup> ومن هنا فالشاهنامة تندرج في نطاق حركة التنافس الثاني- الحضاري بين شعوب الإمبراطورية الإسلامية، وخاصةً بين العرب والفرس. وأطلق على هذه الظاهرة حركة "الشعوبية"، التي أخذت شكل التنافس الأدبي- العلمي منذ القرن الثامن الميلادي. وكان لهذه الحركة أثر بالغ على الحياة الأدبية الإسلامية وكتابة التاريخ، وخاصةً بما يتعلّق باهتمام المسلمين بتاريخ الشعوب الأخرى وإنجازاتها الحضارية.<sup>(17)</sup>

عند مقارنة رواية الديينوري المذكورة أعلاه للمواجهة العسكرية بين سابور وبوليانوس مع وصف الشاهنامة للمشهد نفسه، نجد الكثير من أوجه التشابه؛ بل إنه في كثير من الحالات، يمكننا القول إنَّ الاختلاف يقتصر على أسماء الشخصيات المذكورة في القصة. فمثلاً، يروي الفردوسي أنَّ اسم زعيم الغساسنة هو طائر، بدلاً من الضَّيْزن كما ورد ذكره عند الديينوري. ويضيف الفردوسي أنَّ طائراً خطف عمة لسابور وولدت له بنّا اسمها

16- K. Yamamoto, *The Oral Background of Persian Epics: Storytelling and Poetry* (Leiden and Boston: E. J. Brill, 2003), 3-15,

17 - H. T. Norris, "Shu‘ūbiyyah in Arabic Literature," *The Cambridge History of Arabic Literature, 'Abbasid Belles-Lettres*, ed., Julia Ashtiany et al (Cambridge, New York, 1990), 31-47 H.A.R. Gibb, "The Social Significance of the Shuubiyya," in *Studies on the Civilization of Islam*, eds. Stanford J. Shaw and William R. Polk (Princeton, 1982), 62-73;. D. Agius, "The Shu‘ūbiyya Movement and its Literary Manifestation," *Islamic Quarterly*, 24 (1980), 76-88; R. Mottahedeh, "The Shu‘ūbiyyah Controversy and the Social History of Early Islamic Iran," *IJMES*, 7 (1976), 161-182; I. Goldziher, *Muslim Studies*, trans. by S. M. Stern and C. R. Barber (London, 1967-71), 176-198.

مليلة. وعندما هاجم سابور طائراً، فَالأخير إلى قلعة في اليمن. ويخبرنا الفردوسي أيضاً، أنه عندما حاصر سابور القلعة، قامت مليكة بالتعاون سرّاً مع سابور وفتحت له بوابة القلعة بعد وقوعها في حِبَّه.<sup>(18)</sup> وهذه القصّة ترد في رواية الدينوري، إلَّا أنَّه يَتَّخِذُ العراق مكاناً لحدهما. لا بدَّ لنا من الإشارة مَرَّةً أخرى إلى أنَّ قصَّةَ الضَّيْزن وابنته ترد في تاريخ الطَّبَّري، إلَّا أنَّه يَقْدِمُ القصَّةَ في سياق عرضه لعهد سابور بن أردشير (حكم بين السَّنَوات 242-271). كما أنَّه يصف الضَّيْزن على أنَّه شيخ قضاة وليس زعيم الغساسنة، ويدرك أيضاً أنَّ اسم ابنة الضَّيْزن هو النَّصِيرَة وليس مليكة.<sup>(19)</sup> وهذا التنَّظيم السَّردي الذي يتبنَّاه الطَّبَّري يدلُّ على تأثُّرِه الكبير بالمصادر الفارسية، إلَّا أنَّ استخدامه لها يختلف، من حيث السِّيَاق والأهداف والبنية السَّرديَّة، عن كيَفَيَّةِ دمجها في رواية الدينوري.

ومن هنا يمكن القول إنَّ رواية الدينوري تعكس بشكل كبير المصادر الفارسية، التي قام بدمجها في سرده بشكل معين، بحيث تُقدِّمُ معاداة سابور الشَّديدة للعرب على أنها تقتصر على الغساسنة كجزء من الصراع الدَّائم بين الفرس والرُّوم-البيزنطيين. واختيار الدينوري لهذه المصادر وطريقة استعمالها في روايته يلقيان بعض الضَّوء على الغاية من كتابته التاريخيَّة. فالدينوري يعالج هنا الخطاب الشُّعُوبِي بشكل مغاير، بحيث يحاول جاهداً أن يخفِّف من حَدَّةِ التَّنافس بين العرب والفرس. فبدلاً من أن يظهر على أنَّه شُعُوبِيُّ أو مناهض للشُّعُوبِيَّة، يسلك الدينوري طريقاً وسَطِّاً يحاول فيها تخفيف التَّوتُّر بين العرب والفرس. فعلى العكس من المؤرِّخين المسلمين الآخرين، يصوَّر لنا الدينوري العلاقة الغدوانيَّة بين سابور والعرب على أنَّها نزاع بينه وبين الغساسنة، أي ضمن الصراع الفارسي-البيزنطي. وهذا المنهج في معالجة الخطاب الشُّعُوبِي نجده جلياً في كتابات تاريخيَّة تأثَّرت بالمصادر الفارسية. وخير مثال على ذلك كتاب نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب،

18- Firdousi, Abou'lKasim. *Le Livre de Rois*, ed., and trans. M. Jules Mohl (Paris: Jean Maisonneuve, 1976), Vol., 5, 426-435 (book 29, verses 40-136).

19- الطَّبَّري، تاريخ، الجزء الثاني، 48-50.

الذي تمت كتابته في بداية القرن التاسع الميلادي، بيد أن مؤلف هذا الكتاب ما زال مجهول الهوية.<sup>(20)</sup>

أما روايتنا المسعودي وحمزة الأصفهاني، فإن إدراجهما في مجموعة مستقلة يعود إلى التنظيم المختلف للإطار السردي الذي انتهجه. فعلى عكس بقية المؤرخين، يقدم المسعودي والأصفهاني قصة سابور والعرب في نطاق عرضهما لتاريخ ملوك الفرس، بينما نجد معالجهما للصدام العسكري بين سابور وبيوليانوس تدرج ضمن وصفهما للتاريخ الروماني-البيزنطي، وليس في نطاق التاريخ الفارسي. ومع ذلك، هناك بعض الاختلافات بين روایتي المسعودي والأصفهاني. فرواية الأصفهاني الفارسي الأصل، والذي ينعته بعض الأدباء المسلمين بـ"نعته الشعوبية المعادية للعرب"<sup>(21)</sup> تزوجنا بوصف مختصر للعلاقة بين سابور والعرب، يلاحظ فيه الاعتماد الكبير على المصادر الفارسية. فنجده على سبيل المثال، عندما يتطرق إلى نعت سابور بـ"ذى الأكتاف"، يستخدم عبارة "هوبا سمنا" التي تعني في الفارسية "ذى الأكتاف". وهذه العبارة تشير، على ما يبدو، إلى محاولته عرض التاريخ الفارسي معتمداً على مصادره الأولى.<sup>(22)</sup> كذلك فإن الأصفهاني لا يحدّد، على ما يبدو بهدف التقليل من مكانة العرب، أسماء القبائل العربية المتورّطة في المواجهة مع سابور، بل يتطرق إليها بشكل جماعيٍّ باستخدامه كلمة "العرب".<sup>(23)</sup>

20- M. Grignaschi, "La Nihāyatū-L-Arāb fi Ahbārī-l-furs wa-l-'Arāb", *Bulletin d'études Orientales*, Institut Français de Damas, 22 (1969), 15-67; *idem*, "La Nihāyatū-L-Arāb fī Ahbārī-l-furs wa-l-'Arāb et les Siyāru mulūkī-l-'aġām du Ps. Ibn al-Muqaffa", *Bulletin d'études Orientales*, Institut Français de Damas, 26 (1973), 168-169; E. G. Brown, "Some Account of the Arabic Work entitled 'Nihāyatū' l-Irab fi akhbārī' l-Furs wa' l-'Arāb," *JRAS* (1900), 195-259.

21- F. Rosenthal, "Hamza al-Īsfahānī," *Encyclopedia of Islam*, III, (1971), 156.

22- يشرح لنا الأصفهاني طريقته في كتابة تاريخ الفرس المبني على مصادره الأولى سعياً للوصول إلى معلومات صحيحة. تاريخ، 17، 23.

23- نفس المصدر، 52-51

أمّا رواية المسعودي فجاءت مسّهبة، وتكمّن أهميّتها بشكل خاصّ في دمج المصادر العربيّة الجاهليّة فيها. فيروي المسعودي أنّ قبيلة إياد دخلت العراق وسيطرت على مناطق واسعة منه، مما أثار حفيظة سابور الذي قام بحملة عسكريّة لطردّهم ومعاقبّهم. ويدرك المسعودي شاعرًا لقبيلة إياد اسمه لقيط،<sup>(24)</sup> الذي حذّر قومه من عدم دخول العراق خوفًا من غضب سابور، ولكنّه لم يفلح في إقناعهم. ويضيف المسعودي أنّ سابور وصل إلى البحرين وحارب قبيلة بني تميم. ويمضي المسعودي في سرده ليصف حوارًا بين سابور وزعيم قبيلة تميم، عمرو بن تميم بن مُرّ، الذي يستفسر من سابور عن أسباب معاداته لقبيلته. ويجيب سابور على هذا السُّؤال مشيرًا إلى سببين: أولاً، أنّ العرب اعتدوا على أراضيه وأفسدوها، وثانيهما، أنه مذكور في الكتب الفارسيّة القديمة أنّ نهاية إمبراطوريّة الفرس ستكون على يد العرب. وينهي المسعودي هذا الفصل من روايته بنجاح عمرو في إقناع سابور بالعدول عن فكرته وإنهاء حملته ضدّ العرب.<sup>(25)</sup> وقصة اللقاء بين سابور وبني تميم يرد ذكرها عند المقدسي والثعالبي، إلا أنّهما يشيران بدلاً من عمرو بن تميم بن مُرّ إلى امرأة عجوز، كما أنّ اسم قبيلتها غير وارد في هاتين الروايتين.<sup>(26)</sup>

### إطار الروايات الفارسيّة-السّريانية

في تتبعه للمصادر التي اعتمد عليها المؤرخون المسلمين في عرضهم لقصّة يوليانيوس، يشير الباحث الألماني، تيودور نولدكه، إلى عدّة مصادر، إلا أنّه يذكر باهتمام كبير مصدرًا سريانيًّا يُعرف باسم رومانسة يوليانيوس، ويشدّد على الدور الخطير الذي لعبه هذا المصدر في عرض رواية يوليانيوس في المصادر الإسلاميّة الكلاسيكيّة. هذا المصدر، الذي كُتب على

24- على ما يبدو أنّ لقيط الإيادي عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي وكان مستشاراً لبعض ملوك الفرس الساسانيين لشؤون القبائل العربيّة. لمزيد من المعلومات انظروا: C. Pella, “Lakīt al-Iyādī,” *Encyclopaedia of Islam*, V, (1978), 639-640.

25- المسعودي، مروج، الجزء الأول، 297-296 (الفقرات 601-602).

26- المقدسي، البداء، الجزء الثالث، 162؛ الثعالبي، غرر، 521-520.

ما يبدو في القرن السادس الميلادي، ذو نزعة دينية واضحة تخدم في الدرجة الأولى وجهة النظر الكنسية الدينية الرّامية إلى إبراز انتصار التّصرانية على الوثنية.<sup>(27)</sup> أمّا بالنسبة لكيفيّة انتقال مضمون الرّومانسية إلى المصادر الإسلاميّة، فهناك من يعتقد بوجود ترجمة عربّيّة لّذا المصدر، تم إنجازها خلال القرن التّاسع الميلادي.<sup>(28)</sup> ييدّأنه لا يمكن التّأكّد من صحة هذه المقوله، لا سيّما وأنّ هناك احتمالاً بأنّ هذا المصدر السّرياني انتقل إلى المسلمين عن طريق المصادر الفارسية. وسنأتي في السُّطور القادمة على تتبّع مدى تأثّر العرض التّاريخي لقصّة يوليانيوس في الروايات الإسلاميّة بالرّومانسية، محاولين إلقاء بعض الضّوء على تطّور الكتابة التّاريخية عند المسلمين من زاوية أخرى، وخاصة بداعيات تأثّرهم بمصادر جديدة عند تقديمهم للتّاريخ الرّوماني-البيزنطي.

يجد القارئ للروايات الإسلاميّة، التي يمكن إدراجها ضمن إطار المصادر الفارسية-السّريانية، ثلاثة محاور سرديّة أساسية: وقوع سابور في أسر الرّوم-البيزنطيين، وغزو يوليانيوس لبلاد فارس وموته الغامض، وتولّي يوليانيوس الحكم على الرّوم ومصالحته لسابور. ومعظم المؤرّخين المسلمين يموضّعون هذه المرحلة من قصّة يوليانيوس في نطاق

27- Th. Nöldeke, “Über den Syrischen Roman von Kaiser Julian,” *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, 28 (1874), 263-92. The Syriac “Romance of Julian” was published by Johann G. E. Hoffmann, *Julianus der Abtrünnige: Syrischen Erzählungen* (Leiden: Brill, 1880). للترجمة الإنجليزية ينظر في Julian the Apostate: Now Translated for the First Time from the Syriac Original (the only known Ms. In the British Museum, ed. by Hoffmann of Kiel), trans. by Hermann Gollancz (Oxford: Oxford University Press, 1928).

27 Th. Nöldeke, “Über den Syrischen Roman von Kaiser Julian,” 292; Idem, *Geschichte der Perser und Araber Zeit*, 59-6;

28- U. Ben-Horin, “An Unknown Old Arabic Translation of the Syriac Romance of Julian the Apostate,” *Studies in Islamic History and Civilization, Scripta Hierosolymitana* IX (1961), 1-10.

عرضهم لتاريخ ملوك الفرس، وخاصةً من خلال التّطرق لفترة حكم سابور الثاني.<sup>(29)</sup> من هنا يمكن القول إنَّ العرض التّاريخي لقصّة يوليانيوس عند معظم هؤلاء المؤرّخين لا يزال في نطاق سردهم للتّاريخ الفارسي. وهذا التنّظيم السّردي للروايات يشير إلى إمكانية تعرُّف معظم المؤرّخين المسلمين على رومانسة يوليانيوس عن طريق المصادر الفارسية، وليس بشكل مباشر من المصدر السّرياني.

من قراءة الروايات الإسلاميَّة نعلم أنَّ سابور تسلَّل متخيَّلاً إلى داخل معسکر الروم ليجمع معلومات عن عددهم وعدُّتهم، وكان موَفَّقاً في مهمَّته حتَّى أنَّه نجح بالوصول إلى خيمة قيصرهم.<sup>(30)</sup> ولكنَّ اسم قيصر الروم يبقى مجهولاً في هذه المرحلة من القصّة؛ إلَّا أنَّ أحد الأشخاص من حاشية القيصر استطاع أن يعيَّن هُويَّة سابور، الذي يقع في أسر الروم. ونعلم من هذه الروايات أيضًا أنَّ القيصر الروماني أراد الإمعان في إذلال سابور، فأمرَ أن يوضع في داخل جلد ثور جاف. وفي الوقت ذاته، استغلَّ قيصر الروم فرصة وقوع سابور في الأسر ليعدُّ جيَّساً عظيماً لغزو بلاد الفرس. وتروي المصادر الإسلاميَّة أنَّ سابور استطاع التخلُّص من أسره بمساعدة بعض الأسرى، ليعود إلى بلاده ول يعدُّ جيَّساً لمحاربة الروم. وكانت هذه المواجهة العسكريَّة بين الطرفين لصالح الفرس، حتى أنَّ قيصر الروم يقع في أسر سابور.<sup>(31)</sup> من ناحية التنّظيم السّردي لقصّة تتَّخذ الروايات المندرجة تحت

29- يرى نولدكه أنَّ المعلومات عن وقوع الملك الفارسي في الأسر الروماني- البيزنطي تعود إلى مصدر فارسي، ولكنه يعتقد أنَّ هذه الحادثة وقعت خلال حكم سابور الأوَّل وليس سابور الثاني، كما يروي الكثير من المؤرّخين المسلمين. Th. Nöldeke, *Geschichte der Perser*, 64, no. 2

30- تجدر الإشارة إلى أنَّ الأصفهاني يذكر أنَّ سابور دخل إلى كنيسة وليس خيمة قيصر الروم. انظر، تاريخ، 51.

31- ابن قتيبة، *ال المعارف*، 556-559؛ المسعودي، *مروج*، الجزء الأوَّل، 299-298 (الفقرات 605-606)؛ الأصفهاني، *تاريخ*، 51؛ المقدسي، *الباء*، الجزء الثالث، 161-162؛ الشَّعالي، *غمر*، 521-533. تجدر الإشارة إلى أنَّ قصّة وقوع سابور في أسر الروم ترد في الشَّاهنامة، ولكنَّ هناك بعض الاختلافات البسيطة. فمثلاً، يخبرنا الفردوسي أنَّ امرأة من أصل فارسي ساعدت سابور في التخلُّص من أسره. وهذا العرض يظهر لنا

هذه المرحلة من العرض التأريخي، *التأريخ الفارسي* كإطار زمني وموضوعي، بينما يبقى فيها *التأريخ الروماني-البيزنطي* هامشياً. وحتى أنَّ بعض المؤرِّخين، مثل ابن قتيبة، يُهونون عرضهم لقصَّة سابور بتألُّصه من أسر الرُّوم ولا يدلُّون بمعلومات إضافية عن الرُّوم أو يوليانيوس. عند قراءة روايات *اليعقوبي*، *الدينوري* والطَّبَّري يمكننا إيجاد معلومات جديدة عن قصة القيصر يوليانيوس، وكذلك نلاحظ أنَّ تأثير المُصْدِر السِّرياني، *الرومانسة*، بارز في هذه المرحلة من العرض التأريخي للقصَّة. بالإضافة إلى ذلك، نرى أنَّ هناك تجديداً فيما يتعلق بالبنية السُّرديَّة للقصَّة؛ فعلى عكس المؤرِّخين الآخرين، يُقدِّم *اليعقوبي*، *الدينوري*، والطَّبَّري رواياتهم ضمن إطار تقديمهم لتاريخ ملوك الرُّوم-البيزنطيين وليس من خلال عرضهم للتأريخ الفارسي. بالإضافة إلى ذلك، هناك مواضيع جديدة تمت معالجتها في هذه الروايات. ويمكن الإشارة إلى أربعة مواضيع محوريَّة تبرز في روايات هؤلاء المؤرِّخين: أولها، وصول يوليانيوس إلى الحكم، وثانيها، ارتداده عن النَّصْرانِيَّة والرجوع إلى الوثنية، وثالثها، غزوه لبلاد الفرس، ورابعها، تولِّي يوبيانوس الحكم على الرُّوم من بعد موته. سنأتي على تحليل رواية *اليعقوبي* لكونها مختصرة، كما تظهر بوضوح مرحلة الانتقال في عرض قصة يوليانيوس في الروايات الإسلامية من نطاق الهيكل الفارسي إلى الهيكل الروماني-البيزنطي. وبما أنَّ تأثير المُصْدِر السِّرياني-*الرومانسة* يوليانيوس يظهر بوضوح على الروايات الإسلامية في هذه المرحلة من تقديم قصة يوليانيوس، لا بدَّ لنا من إعطاء لمحَة حول فحواه قبل الشروع في تحليل الروايات الإسلامية.

تدور أحداث *الرومانسة* حول أستيبيوس (ت. 339)، أسقف قيسارية<sup>(32)</sup>، الذي يتبنَّى بموت يوليانيوس عقاباً له على تركه النَّصْرانِيَّة، وهدمه الكنائس، وابياعه الوثنية ديناً. وفي *الرومانسة* يلعب يوبيانوس دوراً خطيراً حين تعرض شخصيَّته على أنَّه نصراوٌ تقىٌ، إلَّا أنَّه

اعتماده على مصادر فارسية أخرى، ولكن لا يمكننا استبعاد محاولته توفير عرض آخر للقصَّة بحيث يخدم نزعته القوميَّة الفارسية بصورة أحسن. انظر الفردوسي، *الشَّاهنَامَة*، الجزء الخامس، 429-435. (الفصل 330,29 الأبيات).

32- يلعب أستيبيوس دوراً هاماً في تمثيل وجهة نظر الكنيسة باعتباره المؤسس للتأريخ الكنسي.

يُخفي نصرانِيَّته خوفاً من بطش يوليانيوس وعقابه. ومن خلال المصدر السِّرياني نعلم أيضاً أنَّ يوليانيوس عارض فكرة غزو يوليانيوس لبلاد فارس، وحَتَّى تشاء له الظروف أنَّ يصبح صديقاً لسابور بعد أن ساعدَه في تفادي الواقعَ في أسر يوليانيوس. بعد ذلك، تصل حبكة الرومانسة إلى ذِروتها بموت يوليانيوس في بلاد فارس بعد إصابته بسهم مجَهول المصدر وقتلَه كعقاب إلهي. وتنتهي رواية الرومانسة بانتوبيج الروم يوليانيوس ملَّا عليهم، وبدوره يصالح سابور ويعود إلى بلاده.<sup>(33)</sup> ومن هنا فإنَّ هذا المصدر السِّرياني يمثل وجهة النظر التاريخية للكنيسة، التي ترَكَّز على انتصار النَّصراوَيَّة وتأييد المشيئة الإلهية لها بمعاقبة المعدين عليها.

يذكر اليعقوبي قصة يوليانيوس في موضعين من *التَّارِيخ*: عند معالجته تاريخ القياصرة الروم المُتَنَصِّرين، وعند سرده لتاريخ ملوك الفرس السَّاسانِيَّين. في الموضع الأوَّل يعلمنا اليعقوبي أنَّ يوليانيوس ملَّك الروم سنة واحدة بعد حكم القيصر قسطنطين العظيم (حكم بين السَّنَوات 311-337 م). ولكنَّ اليعقوبي لا يدلي بمعلومات إضافية حول حياته أو ميوله الدينيَّة.<sup>(34)</sup> أمَّا في نطاق سرده لتاريخ الفرس السَّاسانِيَّين، فيروي اليعقوبي أنَّه عند قيام يوليانيوس بغزو بلاد الفرس انضمَّ إلى عسْكُرٍ عدد كَبِيرٍ من القبائل العربيَّة.<sup>(35)</sup> ويضيف اليعقوبي أنَّ هذه الحملة العسكريَّة تكلَّلت بالنجاح، خاصةً وأنَّ يوليانيوس تمكَّن من دخول وهب المدائن (حاضرة بلاد الفرس): ولكنَّ في غمرة هذا الانتصار الباهر يُقتل

33- Th. Nöldeke “Über den Syrischen Roman von Kaiser Julian,” 266-281.

34- اليعقوبي، *تَارِيخ*، الجزء الأوَّل، 154.

35- تجدر الإشارة إلى أنَّ المصادر البيزنطية، مثل أميانوس ماركيلينوس (ت. بعد سنة 392) وليبيانيوس (ت. 393)، تذكر مشاركة العرب في حرب يوليانيوس ضدَّ الفرس. لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع ينظر في:

Irfan Shahi, *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century* (Washington D.C.: Dumbarton Oaks, 1984) 238-283.

يوليانوس بسهم لا يعرف مصدره، ثم يُمْلِكُ الرُّوم يوبيانوس عليهم ويقوم بمصالحة سابور ويعود إلى بلاده.<sup>(36)</sup>

لا شك أنَّ تأثير المصدر السِّرياني المسنَّى رومانسة يوليانوس يَبْيَنُ هنا على رواية اليعقوبي حتَّى وإن جاءت مختصرة.<sup>(37)</sup> بيد أنَّنا لا نستطيع التَّأكيد على معرفة اليعقوبي لِذَا المصدر بشكل مباشر. وبما أنَّ اليعقوبي يموضع قصَّة يوليانوس في إطار عرضه للتَّاريخ الفارسي، يمكن ترجيح إمكانية انتقال المصدر إلى اليعقوبي عن طريق المصادر الفارسية.

عند تتبُّع عرض قصَّة يوليانوس عند الدِّينَوَري والطَّبَّري، اللَّذِين يعالجان القصَّة من خلال عرضهما للتَّاريخ ملوك الفرس السَّاسانِيَّين، نجد معلومات إضافيَّة لا نجدُها في رواية اليعقوبي: ففي البداية يصف الدِّينَوَري والطَّبَّري، مثلما يحدث في الرُّومانسة<sup>(38)</sup> الميلوَل الدِّينَيَّة الوثنية ليوليانوس. فنعلم من روایتهما أنَّه قبل وصوله إلى الحكم أخفى يوليانوس ميلوَل الوثنية وتظاهر على أنَّه مؤمن بالنصرانية. ولكنَّه عندما أصبح ملُوكاً على الرُّوم ارتدَ عن النَّصراوَنَّية وقام بإحياء الوثنية علَّنا.<sup>(39)</sup> ويضيف الدِّينَوَري والطَّبَّري، مثلما تسرد الرُّومانسة،<sup>(40)</sup> أنَّ يوليانوس طارد النَّصارَى وقتل الكثيرين منهم وهدم عدداً كبيراً من الكنائس. بعد ذلك، جهز جيشاً عظيماً تحت قيادة يوبيانوس وقام بغزو بلاد الفرس. ويُتَطَّرق الدِّينَوَري والطَّبَّري إلى يوليانوس ويصفه على أنَّه مؤمن نصراني، إلَّا أنَّه أخفى إيمانه خوفاً من عقاب يوليانوس. بعد ذلك، يصف الدِّينَوَري والطَّبَّري غزو يوليانوس لبلاد

36- اليعقوبي، تاريخ، الجزء الأول، 161-162.

37- ينعكس تأثير "الرُّومانسة" على اليعقوبي ليس بالأحداث فحسب، بل أيضاً بطريقة استخدامه للأسماء. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر في Th. Nöldeke "Über den Syrischen Roman von Kaisar Julian,"

38- J. G. E. Hoffmann, *Iulianus der Abtrünnige*, 54-56. H. Gollancz, *Julian the Apostate*, 60-61.

39- الدِّينَوَري، الأخبار، 49؛ الطَّبَّري، تاريخ، الجزء الثاني، 58.

40- J. G. E. Hoffmann, *Iulianus der Abtrünnige*, 5-7. H. Gollancz, *Julian the Apostate*, 10-12.

الفرس والظروف التي أدىت لمقتله. فنعلم من هاتين الروايتين، مثلما تحدّثنا الرومانسة، أنَّ يوليانيوس دخل أراضي الفرس، وهزم الجيش الفارسي، وتقدَّم بسرعة في أراضيهم. وعندما احتلَّ يوليانيوس المدائن (قطسيفون) - عاصمة الفرس - لاذ سابور بالفرار. وفي الوقت الذي كان فيه يوليانيوس فرحاً ومغروراً بانتصاره الباهر، أصابه سهم لا يعرف مصدره وقتله. ولوصف غموض هذا السهم يستخدم الديينوري عبارة "سهم عاشر"، بينما يستعمل الطُّبرى عبارة "سهم غرب".<sup>(41)</sup>

بالمقارنة مع المصادر الإسلامية، يوَفِّر لنا المصدر السِّرياني الرومانسة وصفاً مسماً للطَّرِيقَةِ التي لقي فيها يوليانيوس حتفه، وذلك لأنَّها تشَكِّل ذِروَةَ القصَّةِ من ناحية الغاية الديينورية للكنيسة. فيخبرنا المصدر السِّرياني أنَّه خلال الحرب بين الفرس والروم يُسمع صوت من السَّماء ليعلن موت يوليانيوس وانهاء الحرب بين الطَّرفين. بعد ذلك "يرسل سهم من المكان الذي سمع منه الصَّوت ويصيِّب الشَّرِير تحت صدره ويقتله".<sup>(42)</sup> فموت يوليانيوس في الرومانسة يعتبر قمةَ القصَّةِ، لأنَّه يمثُّل العقاب الإلهي لـ"كافر"، الذي أصبح عدُواً للنصرانية، وانتصار الخير على الشَّرِّ، أي انتصار النَّصرانية على الوثنية.

يتمثَّل التَّشابه بين الرومانسة ورواقي الديينوري والطُّبرى، أيضاً في الشَّكل الذي تنتهي فيه القصَّةِ. فعند مقارنة هذه النُّصوص نعلم أنَّ موت يوليانيوس الغامض يصادم الروم ويضعهم في حيرة؛ وعندها يتوجَّه وجهاً للروم إلى يوليانيوس مطالبين إياه بأن يصبح ملِكَ عليهم، ويرفض الانصياع لطلبِهم مخبراً إياهم بأنَّه نصرانيٌّ ولا يستطيع أن يملك على عبدها. وعندما يفتشون له سرَّهم بأنَّهم في الواقع نصارى تظاهروا بالوثنية خوفاً من بطش يوليانيوس، يوافق يوليانيوس على أن يصبح ملِكَ عليهم ويعود إلى بلاده بعد أن يصلح

41- الديينوري، الأخبار، 49؛ الطُّبرى، تاريخ، الجزء الثاني، 58.

42 - J. G. E. Hoffmann, *Iulianus der Abtrünnige*، 186-185 H. Gollancz ، Julian the Apostate, 197-198.

سابور ويعوّضه عن الخسائر التي أوقعها به يوليانيوس.<sup>(43)</sup>

موضوع الخطيئة والعدل الإلهي الذي تتمحور حوله قصة يوليانيوس في الرومانسة ينعكس أيضًا في روايات بعض المؤرخين المسلمين، وخاصة الطبرى. وكما نعرف فإن الطبرى كان فقهًا ومؤسسًا لمذهب اندثرت آثاره.<sup>(44)</sup> وكتابته التاريخية تمثل وجهة نظر أهل الحديث (أو المحدثين) بحيث يعكس المبادئ والمثل الدينية كما وردت في القرآن والسنة البوئية؛ ومن هنا فإن منهجه في التاريخ يستخلص العبر من قصص الأمم الأخرى عن طريق إظهار إرادة الله المتمثلة في موضوع العقاب والثواب وانتصار الحق على الباطل.<sup>(45)</sup> ففي قصة يوليانيوس نجد عدّة أمثلة لهذين الموضوعين: سلوك القبائل العربية المتهور الذي أثار حفيظة سابور، وعدوانية سابور المفرطة تجاه القبائل العربية، ومحاجمة يوليانيوس لسابور، واحتلال عاصمة دولته، وموت يوليانيوس عقابًا له على تركه النصرانية وإحيائه الوثنية. ولعل في استخدام المؤرخين المسلمين (الدينوي واليعقوبي والطبرى) للفعل "ارتد" إشارة إلى حروب الردة، التي تعتبر مرحلة حرجية في التاريخ الإسلامي. وهذا يتفقون مع وجهة نظر الكنيسة فيما يتعلق بقصة يوليانيوس، وخاصة ارتداده عن النصرانية.

### إطار الروايات اليونانية-الرومانية

يعكس استخدام المؤرخين المسلمين للمصادر اليونانية-الرومانية مرحلة مهمة في تطور الفكر التاريخي الإسلامي، وخاصة فيما يتعلق بالاهتمام بثقافات أخرى بشكل عام، وبتاريخ

43- الدينوي، الأخبار، 50؛ الطبرى، تاريخ، الجزء الثاني، 58-59.

H. Gollancz , Julian the Apostate, 210-212 للترجمة الإنجليزية Abtrünnige 197-199,

44 -The History of al-Tabari (Ta'rikh al-rusul wa 'l-muluk) General Introduction and From the Creation to the Flood, trans., and annotated by Franz Rosenthal (New York: Suny Press, 1989), 64-67.

45 -B. Shoshan, Poetics of Islamic Historiography :Deconstructing al-Tabari's History (Leiden: Brill, 2004), 85-100; 109-114; M. Springberg-Hinsen, Die Zeit vor dem Islam, 32-34; B. Radtke, Weltgeschichte und Geschichteschreibung, 16-22.

الرُّوم-البيزنطيين بشكل خاص. ومن هنا فإنَّ تحليل انعكاس قصَّة يوليانيوس في الروايات الإسلامية المبكرة يشكِّل محَّا علميًّا نافعًا لفهم وتتبُّع تطُور الكتابة التَّارِيخِيَّة عند المسلمين؛ وهذا التَّوجُّه في استثمار المصادر اليونانية-الرومنية يتمثَّل مليًّا في روایي المسعودي خاصَّةً في كتاب التَّنبِيَّه والإشراف والأصفهاني. فكلاهما، كما ذكرنا من قبل، يقدِّمان قصَّة يوليانيوس ضمن عرضِهم لتاريخ القياصرة الرُّوم-البيزنطيين. يتميَّز وصف الأصفهاني بالإيجاز، حيث يذكر ارتداد يوليانيوس عن النَّصْرانِيَّة وغزوه لبلاد الفرس.<sup>(46)</sup> ومن هنا فإنَّ نقاشنا لعرض قصَّة يوليانيوس ضمن الإطار اليوناني-الروماني سيكتُرس جُلُّ لرواية المسعودي. ولمركزية رواية المسعودي ومساهمته في إدخال حضارات جديدة إلى حيز الفكر التَّارِيخِي عند المسلمين، لا بدَّ لنا أولاً من إلقاء نظرة سريعة على خلفيَّته الثقافية.

تعتبر مؤلَّفات المسعودي التَّارِيخِيَّة انعكاسًا للإنجازات العلميَّة والأدبيَّة التي شهدتها الحضارة الإسلامية العباسية خلال القرن العاشر الميلادي نتيجة لقاء الثقافتين بين المسلمين والحضارات الأخرى مثل (الفارسية والهنديَّة واليونانية). فمنذ نهاية القرن الثَّامن الميلادي، شرع العلماء المسلمون في عملية ترجمة واسعة لأعمال علميَّة وأدبيَّة وفلسفية من هذه الثقافات إلى العربيَّة. ووصلت الإنجازات العلميَّة والأدبيَّة الإسلامية نجدها تتمتَّع بمميزات العاشر الميلادي.<sup>(47)</sup> وإذا نظرنا إلى الكتابة التَّارِيخِيَّة عند المسعودي نجد أنها تتمتَّع بمميزات خاصَّة. فالمسعودي أول من دمج علميَّ التاريخ والجغرافيا في عرضه للتَّاريخ، وكذلك وفرة المعلومات التي يوفرها لنا عن تاريخ الشُّعوب الأخرى تجعله مميَّزاً عن المؤرِّخين المسلمين الآخرين. فكان أول من ترك لنا أكثر الروايات إسهاماً عن تاريخ اليونانيين والروم.<sup>(48)</sup>

46- الأصفهاني، تاريخ، 74

47- Ahmad Shboul, *Al-Mas'udi & His World: A Muslim Humanist and His Interest in Non-Muslims* (London :Ithaca press, 1979), 2-5.

48- Abed el-Rahman Tayyara, *The Reflection of Non-Islamic Cultures in Early Islamic Universal Histories* (Ph.D. Dissertation, 2005), 18-20; Tarif Khalidi, *Islamic Historiography: The Histories of Mas'udi* (Albany: SUNY University Press, 1975), 1-5; A. Shboul, *Al-Mas'udi & His World*, 1-17.

بالإضافة إلى ذلك، فالم سعودي كان رحالة مشهوراً وزار الكثير من الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية، وكانت له مناظرات ثقافية مع علماء مسلمين ويهود ومسيحيين ووثنيين.<sup>(49)</sup> وهذه الخلفية تشير إلى أنَّ الم سعودي كان مؤرخاً يتمتع بفضل كبير وانفتاح للبحث عن مصادر أخرى سعياً في إثراء عرضه التاريخي بمعلومات جديدة.

يتطرق الم سعودي إلى قصة يوليانيوس في كتابيه: *مروج الذهب والتنبيه والإشراف*. ومن مقارنة روايته في هذين الكتابين، نجد أنَّه في عرضه لرواية يوليانيوس يزودنا بمعلومات جديدة، حيث يبرز فيها، كما سنرى في السطور القادمة، استخدام مصادر جديدة، خاصة اليونانية منها. ومن هنا فإن تحليل التقديم التاريخي عند الم سعودي لهذه القصة يوفر لنا مثلاً جيداً لعملية انتقال المعرفة التاريخية من الثقافات الأخرى إلى الفكر التاريخي الإسلامي. ولنقف على تطور الكتابة التاريخية عند الم سعودي، نبدأ بتمحیص عرضه لقصة يوليانيوس في *مروج الذهب*، الذي تم تأليفه قبل *التنبيه*.

ففي *المروج* يخبرنا الم سعودي، كما ورد في روايات اليعقوبي، الدِّينوري، والطَّبرى، عن تظاهر يوليانيوس بالنصرانية قبل وصوله إلى الحكم، إلا أنَّه اتَّبع الوثنية وسرعان ما أصبح ملكاً على الروم. وكذلك يروي لنا غزو يوليانيوس لبلاد فارس، وموته الغامض هناك، وتولى يوبيانوس المؤمن بالنصرانية الحكم من بعده. ونرى أنَّ رواية الم سعودي متأثرة هنا، مثل المؤرخين المسلمين الآخرين، بالمصدر السِّريانى، *الروماني*، لقصة يوليانيوس. بيد أنَّه كان أول من استخدم مصادر يونانية في روايته. ويستدلُّ ذلك من استعماله لكلمة "البزاط" (apostatis) اليونانية، مسيراً إلى أنَّ النصارى أطلقوا على يوليانيوس هذا الاسم البغيض، الذي يعني الكافر، لأنَّه ارتدَّ عن النصرانية واتَّبع الوثنية.<sup>(50)</sup>

49- الم سعودي، كتاب *التنبيه والإشراف*، المطبعة العربية الجغرافية (لبنان: بربيل، 1894)، 114، 154.

.156

50- الم سعودي، *مروج*، الجزء الثاني، 47-48 (الفقرات 745-744).

مع انتقالنا لتمحیص عرض المسعودی لقصة یولیانوس في التّنبیه نجد معلومات جديدة عن طبیعة دیانته الوثنیّة لا نجدها في الروایات الإسلامیّة المذکورة أعلاه. وهذا يدلُّ على استخدام المسعودی لمصادر جديدة واتّباعه تنظیماً آخر للبنية السرديّة للقصة. وللوقوف جيّداً على هذه الفروقات، لا بدّ لنا من التّعرّف على النّصِّ الكامل لروایته حيث يخبرنا: "یولیانوس، ملَكَ سنتین وکان يخفي الصَّابئیَّة في أيام عَمِّه وابن عَمِّه فلماً ملَكَ أَظہرها وارتَدَّ عن دین التَّصَرَانیَّة وخرَبَ الکنائس ورَدَ التَّمَاثِیل التي جعلها الصَّابئون مثلاً للجواهر العلویَّة والأجسام السَّماویَّة التي هي وسائط بين العلَّة الأولى عندهم وبين الخليقة في العبادات. وقتل من التَّنصاری خلقاً كثیراً، وجعل عقوبة من لم يرتَدَ إلى الحنفیَّة القتل، وكان يأخذ من عاد إلى الحنفیَّة بِاللَّیان على النَّار والأکل من ذبیحة الجنفاء وغير ذلك. وكان عظیم السُّطُوة کثیر الجنود، وسار إلى أرض العراق في ملک سابور بن أردشير فهلك بسهم غرب أصابه، والرُّوم تسمیه بـأرْبَدِیس، وتفسیر ذلك المرتد والصَّابئُ أوسپیوس، تفسیر ذلك المؤمن التَّقی. والتَّنصاری جمیعاً يتبرأون منه، ومنهم من يدعوه البَزَاط".<sup>(51)</sup>

في هذا النّصِّ يرکز المسعودی على طبیعة دین یولیانوس الوثنی، ويوفّر لنا معلومات جديدة لم نعهدها في المصادر الإسلامیّة المذکورة آنفاً. ومع ذلك، نرى بعض الأحداث في روایته قد تأثَّرت بـالرومانیَّة. فاستعماله لكلمة "الحنفیَّة"، والتي تعنی بالسِّريانیَّة الوثنیَّة،<sup>(52)</sup> تشير إلى اعتماده على مصدر سريانی. سنکِّیس نقاشنا هنا لتمحیص المعلومات

51- المسعودی، التَّنبیه، 145-146.

52- لا بدّ من الإشارة إلى أنَّ كلمة "حنیف" قد وردت في القرآن الكريم لتعنی الدِّیانة التَّوحیدیَّة الحقيقة المرونة بـابراهیم الخلیل. ولكن كلمة "الحنفیَّة" هنا هي سِريانیَّة الأصل (حنف) استعملها بعض الكتَّاب المسیحیین بمعنى الوثنیَّة. وقد أخذ بعض الكتَّاب المسلمين هذا المعنی عن المصادر السِّريانیَّة. W. Montgomery Watt, "Hanif," *EI*, III (1971), 16; N.A. Faris and H.W. Gildden, "The Meaning of the Koranic Hanif," *Journal of the Palestine Oriental Society*, 19 (1939), 6-9; J. Horovitz, *Koranische Untersuchungen* (Berlin and Leipzig: Walter de Gruyter, 1926), 56-61.

الجديدة المذكورة عند المسعودي، محاولين تتبع مصادره والتعارف عليها. فبذكره أنَّ يوليانيوس أعاد عبادة الأوثان التي يرى بها الصَّابئَة رموزاً للأجسام السَّماوَيَة، يرى المسعودي رجوع يوليانيوس للوثنية على أنَّه إحياء للفلسفة اليونانية، وخاصة الفلسفة الأفلاطونية الجديدة. ويظهر ذلك جلِّا في ذكره للصَّابئَين، الذين كانوا مجموعة وثنية استمرَّت تعيش في ظلِّ الإسلام. ونعرف أنَّ الصَّابئَين اتبَّعوا الفلسفة اليونانية مع التَّرْكِيز على الفلسفة الأفلاطونية الجديدة.<sup>(53)</sup> وفي المروج يخبرنا المسعودي أنَّه زار بعض علماء الصَّابئَة وكانت له مناظرات ثقافية معهم.<sup>(54)</sup>

هذا الرَّيْط بين وثنية يوليانيوس والفلسفة اليونانية لا ينحصر في المسعودي، بل نجده عند مؤرِّخين جاءوا بعد المسعودي، مثل أبي الفرج -محمد بن إسحاق المعروف بابن التَّنْديم (ت 970) ومسكويه (ت 1030).<sup>(55)</sup>

بالإضافة إلى ذلك يخبرنا المسعودي في التَّنْبِيَة، كما مرَّ معنا، بأنَّ يوليانيوس بعد تسلُّمه الحكم شرع في ملاحقة النَّصارَى وإجبار الكثيرين منهم على الرُّجُوع إلى الوثنية، وصار يضع إخلاصهم للوثنية في امتحان عن طريق إجبارهم على المشاركة في تقديم القرابين للآلهة وأكل طعام الوثنين. ومن هنا أطلق عليه المسيحيون اسم "باربديس"، وهي كلمة يونانية (Παραβάτης=parabatis) تعني المرتد عن دينه. فاستخدام هذه الكلمة يشير إلى اعتماد المسعودي على مصادر يونانية نصرانية. ويظهر من هذا التَّصْنِيَف أيضًا أنَّ المسعودي كان من أوائل المؤرِّخين المسلمين الذين استخدمو روايات وثنية. ويستدلُّ ذلك من عبارة "والصَّابئَة [تسميه] أوسيبيوس، تفسير ذلك المؤمن التَّقِي". وكلمة أوسيبيوس (Εὐσεβίος=eusebius)

53- Charles Genequand, " Idolâtrie, astrolâtrie et Sabeïsme," *Studia Islamica*, 89 (1999), 122-124.

54- المسعودي، مروج، الجزء الثاني، 309-308 (الفقرة، 1234).

55- ابن التَّنْديم، *الفِهْرِسُتُ*، تحقيق يوسف طويل (بيروت: دار الكتاب العربي، 1996)، 241؛ مسکويه، تجارب الأمم، الجزء الأول، 74.

هي كلمة يونانية الأصل وتظهر اعتماده على مصدر يوناني وثني. والسؤال الذي يطرح هنا، ما هي هذه المصادر التي استخدمها المسعودي؟ وهل وصلته بطريقة مباشرة أو عن طريق مصادر أخرى، مثل الكتابات الكنسية العربية أو السريانية.

لعبت المصادر السريانية والعربية النصرانية كحلقة وصل هامة في عملية انتقال العلوم والفلسفة اليونانية إلى الثقافة الإسلامية.<sup>(56)</sup> وكذلك المعلومات الأولى التي وصلت إلى المؤرخين المسلمين عن التاريخ الروماني-البيزنطي جاءت عن طريق هذه المصادر. وهذه المعلومة الهمامة تساعدنا على تتبّع المصادر التي أثّرت على العرض التاريخي لقصة يوليانيوس في كلٍ من المروج والتنبيه. ولذلك ينبغي علينا تمحيص العرض العام لقصة يوليانيوس في المصادر السريانية والعربية النصرانية (وخاصّةً كيّفية وصفها بالوثنية) لتفّع على مدى تأثُّر المسعودي بالكتابات اليونانية.

تمثّل المصادر السريانية، التي تعرض الأحداث وفقاً لسلسلتها الزمانية، وجهة نظر الكنيسة التاريخية، وخاصّةً التّركيز على رواية انتصار النصرانية على الوثنية.<sup>(57)</sup> فمن الطبيعي أن تتحلّ رواية يوليانيوس مكاناً هاماً في معظم هذه الكتابات. وعند ذكرهم لقصة يوليانيوس، يركّز المؤرّخون السريان، مثلما رأينا في الرومانسة، على تركه النصرانية وإحياءه الوثنية. ومن هنا فالمصادر السريانية تطلق، كباقي الكتابات الكنسية، على يوليانيوس لقب "الكافر"؛ فالمؤرّخون السريان يستخدمون كلمة "رشيعا" (الكافر) عند ذكرهم ليوليانيوس،<sup>(58)</sup> ولا تظهر عندهم مفردات يونانية مقابلة، مثلما رأينا آنفًا في رواية المسعودي في التنبيه.

56- F. Rosenthal, *The Classical Heritage in Islam*, translated from the German by E. and J. Marmorstein (Berkeley, 1975), 15-23.

57- P. Van Deun, "The Church Historians after Eusebius," in *Greek and Roman Historiography in Late Antiquity, Fourth to Sixth Century A.D.* G. Marras (Leiden and Boston: Brill, 2003), 151-176.

58 -J. Hoffmann, *Iulianus der Abtrünnige*, 185-86; *Chronicon ad Annum 724*, Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, 3. *Scriptores Syri*, 3, *Chronica Minora*, II, pp.

مع انتقالنا إلى الكتابات العربية النصرانية التي تعالج قصة يوليانيوس، نقف عند مؤلفين أثراً كثيراً على الكتابة التاريخية عند المسعودي، خاصةً بما يتعلق بالتاريخ الروماني-البيزنطي. الأول هو أغابيوس، المعروف باسمه العربي محبوب ابن قسطنطين المنبي (ت 910). أما الثاني فهو أوتيخيوس، المعروف باسم سعيد ابن البطريق (ت 923)<sup>(59)</sup>. وهذان المؤرخان يتبعان في عرضهما التاريخي لقصة يوليانيوس الأجندة الكنسية، بحيث يرتكزان على انتصار النصرانية المؤيدة بالعنابة الإلهية. ويترافقان إلى مطاردة يوليانيوس للنصارى وإجبارهم على الاشتراك في الطقوس الدينية الوثنية. بينما يصف أغابيوس يوليانيوس بـ"المنافق"<sup>(60)</sup> ويستخدم أوتيخيوس كلمة "الكافر" لتركه النصرانية وابتاعه الوثنية<sup>(61)</sup>. من هذه المقارنات بين المسعودي والمصادر السريانية والعربية النصرانية نستدلُّ أنه، على الرغم من تأثيره منها، إلا أنه اعتمد على مصادر أخرى. وهذا ينقلنا إلى تتبع إمكانية تأثير كتابات التاريخ اليونانية على تقديم قصة يوليانيوس عند المسعودي.<sup>(62)</sup>

105; *Eliae Metropolitae Nisibi Opus Chronologicum*, I, *Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium*, 63, *Scriptores Syri*, 23, 24.

59- يذكر المسعودي الكتابات التاريخية لهذين المؤرخين ويثنى عليهما على أنها مصادر جيدة للتاريخ الروماني. أنتبه، 155-156.

60- أغابيوس، كتاب العنوان، تحقيق لويس شيخو (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1970)، 197. 198

61- أوتيخيوس، كتاب التاريخ المجمع على التحقيق والتصديق، في *Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, Scriptores Arabici Textus, Series Tertia, Tomus VI* (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين ، 1905) 137.

62- على ما يبدو أن المسعودي لم يعرف اللغة اليونانية وإنما انكشفه للمصادر اليونانية كان عن طريق ترجمات عربية أو إخباريين نصارى. فمثلاً، يخبرنا المسعودي في مروج الذهب عن كتاب يوناني عن تاريخ القياصرة الروم وجده في كنيسة في مدينة أنطاكية. ويضيف المسعودي أنه طلب مساعدة أحد رجال الدين هناك ليساعده على فهم فحوى هذا الكتاب. مروج الذهب الثاني، 309-308 (الفقرة 1234).

نظرًا لأهمية قصة يوليانيوس في سياق الصراع بين النصرانية والوثنية، تعرض المصادر البيزنطية اليونانية، وخاصة *التاريخ الكنسي* منها،<sup>(63)</sup> قصة يوليانيوس على أنها تمثل انتصار النصرانية ونهاية الوثنية. وفي *التاريخ الكنسي* للمؤرخ البيزنطي سوزيمينوس (ت. 450) نجد وصفاً مسبباً لفترة حكم يوليانيوس. فهو يذكر كيفية وصول يوليانيوس إلى الحكم، واتباعه للديانة الوثنية، وإجبار رعيته على ترك النصرانية وعبادة الوثنية. ويضيف سوزيمينوس أنَّ يوليانيوس شرع في ملاحقة النصارى ومضايقهم بأشكال مختلفة، مثل تدنيس مآكلهم ومشاربهم.<sup>(64)</sup> ولاحظ هنا التشابه الكبير بين وصف سوزيمينوس ورواية المسعودي، كما مرَّ معنا، في *التنبيه*. بالإضافة إلى ذلك، يذكر سوزيمينوس فيلسوفاً وثنياً من مدينة إفسوس اسمه مكسيموس. ويلعب هذا الفيلسوف، حسب رواية سوزيمينوس، دوراً محورياً في تعليم يوليانيوس مبادئ الفلسفة اليونانية، وتصميم فكره الوثني، وكراهيته للنصرانية.<sup>(65)</sup> فالمسعودي يقرن، كما رأينا في *التنبيه*، إحياء يوليانيوس للوثنية بالفلسفة اليونانية المتمثلة بالفker الديني عند الصابئة. وهذا التشابه يُظهر اعتماد المسعودي على مصادر يونانية في تقديمها لقصة يوليانيوس. وكذلك فإنَّ ظهور مفردات يونانية، مثل، *Ἐνσεβής αποστατής Παραβάτης* parabatis.apostatis.eusebius يرجح اعتماده على مصادر يونانية. فمثلاً، المؤرخ البيزنطي ملاس (ت. 570) يستخدم في

63- يسمى هذا النوع من الكتابة "التاريخ الكنسي" (Historia Ecclesiastica) الذي يسرد الأحداث حسب التسلسل الزمني، وهذه الكتابات التاريخية ذات نزعة دينية تمثل وجهة نظر الكنيسة. ويعتبر أوسبييوس المؤسس لهذا النوع من الكتابة التاريخية. لمزيد من المعلومات يمكن النّظر في H. Leppin, "The Church Historians (I): Socrates, (I): Socrates, Sozomenus, and Theodoretus," in *Greek and Roman Historiography in Late Antiquity, Fourth to Sixth Century A.D.* ed.

G. Marrasco (Leiden and Boston, 2003), 219-245.

64- Sozomen, *Historia Ecclesiastica*, v,1 -3; see also Philostorgius, *Historia Ecclesiastica*, vi, 7, vii, 1-9.

65- Sozomen, *Historia Ecclesiastica*, v, 2, 16.

عرضه لقصة يوليانوس كلمة parabatis عندما يصف يوليانوس بـ "الكافر"<sup>(66)</sup>، بينما نجد كلمة apostatis مستخدمة في التاريخ العالمي البيزنطي المعروف باسم (Chronicon Paschale)<sup>(67)</sup>. ومن هنا فإنَّ العرض التأريخي الذي يوفره لنا المسعودي لقصة يوليانوس في مروج الذهب والتنبية يعكس المراحل المختلفة التي مرَّت بها هذه القصة في الروايات الإسلامية من حيث المصادر الجديدة، والبنية السردية، والاهتمام بتاريخ الأمم الأخرى.

### خلاصة البحث

تمحورت الكتابة التأريخية الإسلامية منذ نشأتها حول حياة الرسول، ﷺ، والصحابة، وحفظ التراث العربي الجاهلي. وكلما تقدَّمنا زمنياً طفت على الحياة الثقافية الإسلامية مواضيع جديدة، وجدت لها صدَّى في الكتابة التأريخية. وقد أدى اللقاء الحضاري بين المسلمين والشعوب الأخرى إلى إثراء الحياة الثقافية الإسلامية وفتح آفاق جديدة في الكتابة التأريخية. ولقد لعبت الحضارة الفارسية دوراً بارزاً في تطوير الفكر التأريخي عند المسلمين، لا سيَّما وأنَّ العلماء المسلمين من أصل فارسي لعبوا دوراً محورياً في عملية نقل التراث الحضاري الفارسي العلمي والأدبي إلى اللغة العربية.

وَفَرَّتْ هذه الدراسة لنا زاوية جديدة لفهم تطور الكتابة التأريخية عند المسلمين، وخاصة بما يتعلَّق باهتمامهم بتاريخ الشعوب الأخرى، وذلك من خلال قراءة مسحية في العرض التأريخي لقصة يوليانوس في المصادر والحواليات الإسلامية الكلاسيكية.

ومن هنا تتَّبع هذه الدراسة المراحل المبكرة لظهور قصة القيصر يوليانوس في الكتابات التأريخية الإسلامية عن طريق تمحیص التقنيات السردية، والأساليب، ودمج المصادر. ونستنتج من القراءة المقارنة لهذه الروايات أنَّ انتقال المعلومات عن قصة يوليانوس إلى

66- *Ioannis Malalae Chronographia*, ed. I. Thurn in *Corpus Fontium Historiae Byzantinae*, 35: Ser. Berolinensis (Berlin: Walter de Gruyter, 2000), 250 (13: 18).

67- *Chronicon Paschale*. (Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae), ed. G. Dindorf. Bonn: E. Weber, 1832), p. 92; Sozomen, *Historia Ecclesiastica*, v, 4, 8.

المؤرخين المسلمين كان تدريجياً ومرة بمراحل سردية مختلفة، حيث لعب إطار التاريخ الفارسي دوراً هاماً في نقلها.

ومراحل العرض التاريخي لقصة يوليانيوس هي بمثابة إطار سردية يتم خلالها التعرف على كيفية تفاعل المؤرخين المسلمين مع هذه الرواية من ناحية الموضوعات والأحداث، وتتبّع مدى تأثيرهم بمصادر غير عربية. وقد لاحظنا في هذه الدراسة الدور الكبير الذي يلعبه تاريخ ملوك الفرس (خاصة فترة حكم سابور الثاني) كإطار سردي يتم فيه تمحيص الروايات الإسلامية، من حيث المعلومات والأساليب المتبعة لدمج قصة يوليانيوس. وحتى أنه يمكن ترجيح الاحتمال بأنَّ معظم المؤرخين المسلمين قد تعزّزوا على المصدر السرياني المسنّ رومنسسة يوليانيوس، الذي أثَّر كثيراً على الروايات الإسلامية، من خلال الإطار الفارسي. ولكنَّ فضول المؤرخين المسلمين لمعرفة المزيد عن رواية يوليانيوس، دفع ببعضهم إلى البحث عن مصادر جديدة تابعة لأطر سردية أخرى. وخير مثال على التوجُّه هو العرض التاريخي للقصة عند المسعودي الذي يظهر معرفة ملفتة للنَّظر بتاريخ الروم-البيزنطيين ويدمج في تقديمها للقصة مصادر جديدة (نصرانية وحَّى وثنية) لم نرها عند المؤرخين الذين سبقوه.

إلى جانب ذلك، يلقي هذا البحث بعض الضوء على دوافع اهتمام المؤرخين المسلمين بقصة يوليانيوس ودمجها في تقديماتهم التاريخية. تظهر في روايتي ابن قتيبة والطبرى، على سبيل المثال، وجهة النَّظر الدينية، التي تتماشى إلى حدٍ بعيد مع الخطاب التاريخي الكنسي. ولا تستبعد أنَّ اهتمام المؤرخين المسلمين بقصة يوليانيوس، وخاصة ارتداده عن الصّرمانية، مرجعه حروب الرِّدَّة، التي كانت مرحلة مصيرية في التاريخ الإسلامي. وفي روايتي الدينوري والأصفهانى نرى التَّفاعل مع الخطاب الشُّعوبى، لكن كلَّ منهما عالج الخطاب الشُّعوبى بشكل مغاير. أمَّا عرض رواية يوليانيوس عند المسعودي، فيظهر فيها سعيه في البحث عن مصادر جديدة ضمن إطار التاريخ الروماني-البيزنطي، وتمتُّعه بانفتاح ثقافي وحبِّ استطلاعٍ كبيرين.